الانسحاب من الواقع في الرّواية العراقيّة زمن الرّبيع العربيّ
"زمن منسيّ" لـ "أنفال الجبوري" نموذجًا
Withdrawal from Reality in the Iraqi Novel in the Time of the Arab Spring
"Forgotten Time" by "Anfal Aljbouri" an Example

د. سلمى عطاالله

جامعة سيّدة اللّويزة، لبنانsabdallah@ndu.edu.lb

تاريخ الإرسال:2021/01/25	تاريخ القبول:2021/03/21	تاريخ النشر:2021/03/30

الملخّص

إنّ رواية "زمن منسيّ" التي أبصرت النّور في زمن ما سمّي بالرّبيع العربيّ، تسلّط الضّوء على عالم آخر رأت الكاتبة أن تنسحب إليه بعيدًا عن عالمها الواقعيّ الحقيقيّ. فانسحبت إلى عالم متخيّل حاكت حبكته من عالم الفساد والطّمع الماديّ الّذي يمكن أن يعيشه ويعرفه أيّ إنسان، في أيّ زمان ومكان... والّذي تجسّد في قضيّة ضدّ جمعيّة علميّة مقرّها في دولة أوروبيّة، وهي تقوم بأنواع مختلفة من التّجارب على استنساخ البشر، عن طريق إقناع بعض البسطاء، بأن تتمّ عليهم التّجارب، مقابل مبالغ زهيدة يفرح بها البسطاء لكي يعيلوا عائلاتهم... كما انسحبت إلى عالم ذاتها المنشودة حيث أسندت للذّات الأنثويّة دورًا مثاليًّا تجلّى في البحث عن الحقيقة وإلقاء القبض على الفاسدين وإن كان أخاها... وهي، وإن سعت لعدم مواجهة الأزمات الكبرى الّتي يعيشها مجتمعها، إلّا أنّها خلقت عالمًا مختلفًا يتّسم بالشّموليّة والعموميّة بعيدًا عن أيّ خصوصيّة أو فرادة... راسمة برؤياها مسألة محاربة الطّمع والشّرّ والفساد الّتي عرفها الإنسان منذ وجد على هذه الأرض...

الكلمات المفتاحيّة:

العالم الواقعيّ الحقيقيّ، الانسحاب، العالم المتخيّل، الذّات المنشودة، العالم المختلف، الفساد...

Abstract: The novel "Forgotten Time", written in the time of so called the Arab Spring, sheds light on another world to which the writer decided to withdraw, away from her real actual worldinto a world of her own imagination, weaving its plot from the world of corruption and material greed that any person can live and experience, at any time and place… Which was embodied in a case against a scientific association based in a European country, that carries out various types of experiments on human cloning, by persuading some simple people, to complete the experiments on them, in exchange for small amounts of money they would be happy with in order to support their families… The writer also withdrew to the realm of her desired self, where she assigned the female self an ideal role, which was manifested in the search for truth and the arrest of the corrupt, even if it was her brother… Although she sought not to face the major crises her society is experiencing, she created a different world characterized by comprehensiveness and generality, far from any particularity or individuality… Depicting in her vision the issue of fighting greed, evil and corruption that man has known since he was found on this earth…

Keywords: The real actual world, withdrawal, imagined world, desired self, different world, corruption…

1- المقدّمة:

تعدّ الرّواية النّوع الأكثر انتشارًا بين الأنواع الأدبيّة في العصر الحديث. والرّواية هي ''نصّ نثريّ تخيّليّ سرديّ واقعيّ، يدور، غالبًا، حول شخصيّات متورّطة في حدث مهمّ. وهي تمثيل للحياة والتّجربة واكتساب المعرفة.''[1] وتضع الموسوعة البريطانيّة تعريفًا للرّواية يلحظ تنوّع أشكالها. فترى أنّ الرّواية ''سرد نثريّ، أو قصّة ممتدّة امتدادًا شاسعًا، وفيها شخصيّات وأحداث تمثّل الحياة في الماضي أو الحاضر مرسومة في حبكة معقّدة كثيرًا أو قليلًا.''[2] والرّوائيّ راءٍ، من هنا تتسرّب قضايا عديدة إلى الرّواية منها الاجتماعيّ والسّياسيّ والفلسفيّ والدّينيّ والنّفسيّ...

أمّا في رواية "زمن منسيّ" للرّوائيّة العراقيّة "أنفال الجبوريّ" فسوف نرى شكلًا آخر من الرواية،حيث يتمّ التّركيز على قضيّة الانسحاب من الواقع وعلى تجلّياته المختلفة في النّصّ، وذلك وفق قراءة تتيح للرّواية نفسها أن تتحدّث، كما يقولالشّاعر والرّوائيّ"إدوين موير" (Edwin Muir):''الشّيء الوحيد الّذي يستطيع أن يحدّثنا عن الرّواية هو الرّواية نفسها''[3]،ويسمّيالنّاقدان الأدبيّان "أوستن وارين" (Austin Warren) و"رينيه ويلك"(René Wellek) المنهج المستخدم في هذا الإطار ''بالمنهج الدّاخليّ"، ويصفانه بـ "الأدبيّ"''.[4] إذًا، هذه القراءة الدّاخليّة للرّواية سوفتضيء على الأسئلة الإشكاليّة: لماذا انسحبت الرّوائيّة من عالم الواقع المحيط بها فعليًّا في حياتها اليوميّة، واقع وطنها "العراق" والعالم العربيّ الّذي يعاني سيطرة القوى الإرهابيّة المتطرّفة عليه، وتدميره ونشر الرّعب فيه، وبالتّالي، لم تسمح لهذه القضيّة تحديدًا بأن تتسرّب إلى روايتها؟ إلى أين انسحبت؟ وكيف تجلّى هذا الانسحاب في الرّواية؟ كيف وظّف؟ وبالتّالي، لماذا اختارت الكاتبة فعل الكتابة؟ وأيّ عالم تؤسّس؟

أسئلة سوف تتمّ الإجابة عنها من خلال قسمين: الأوّل تحت عنوان "الانسحاب من العالم الواقعيّ الحقيقيّ إلى العالم المتخيّل"، والثّاني تحت عنوان "الانسحاب من العالم الواقعيّ الحقيقيّ إلى عالم الذّات المنشودة".

2- الانسحاب من العالم الواقعيّ الحقيقيّ إلى العالم المتخيّل.

يقول النّاقد البريطانيّ"تيري إيغلتون" (Terry Eagleton): ''كلّ الفنون تحمل بصمة الحقبة التاريخيّة الّتي أنتجتها...''[5].لكنّ رواية "زمن منسيّ" الّتي صدرت عام 2016، أي زمن الرّبيع العربيّ، كما أُطلق عليه، زمن انتشار الإرهاب في المجتمع العراقيّ بخاصّة، والعربيّ بعامّة، لم تحمل بصمة هذه الحقبة ولا التفتت إليها، فبدت وكأنّها آتية من عالم آخر، أو من أيّ عالم، فاقدة للخصوصيّة وللمعالم الذّاتيّة!... إذ وضعت هذهالرّواية المتخيّل المؤلموالعامّ مكان الحقيقيّ الأكثر إيلامًا، إنّما الخاصّ!...

لقد كتبت الرّوائيّة "أنفال الجبوري" روايتها هذه بمعزل عن ظروف العالم العربيّ... فانسحبتمن العالم الواقعيّ الحقيقيّ،واقع الحرب والقتل والدّمار والجوع والفقر والتّشرّد والتّكفير والإلغاء... إلى العالم المتخيّل، حيث تمكّنت من رسم عالم مكتمل الصّورة، اختارته بنفسها ولم يُفرض عليها... عالم لا يقلّ مرارة عن العالم الحقيقيّ، أحيت فيه عالم ما قبل الحرب أو ما بعدها، أو عالم خال من الحرب، وكأنّها رافضة لواقعها الجديد، متناسية له، واقع العراق تحت العدوان، تحت سيطرة التّطرّف والإرهاب... مضيئة على فساد من نوع آخر يتمحور حول قضيّة طمع الإنسان وحبّه للمال والرّبح غير المشروع، واستباحة النّاس الفقراء لأجل تنفيذ مطامع ومآرب، ولأجل أن تبيّن أنّ هذه القضيّة هي ملازمة لحياة الإنسان، وأنّها ليست أزمة آنيّة طارئة، بل هي أزمة الأزمات الّتي رافقت الإنسان منذ وجوده.

وهكذا، تكون قد حوّلت اهتمامها من الإنسان العربيّ إلى الإنسانفي أيّ زمان ومكان، إلى ما هو أشمل وأرسخ في الحياة الإنسانيّة الماضية والحاضرة والمستقبليّة... وأكثر ملازمة لها... لقد أرادت أن تخرج من الإطار المكانيّ والزّمانيّ الضّيّق إلى الإطار المكاني والزّمانيّ الأوسع والأرحب، بحيث أنّ القضيّة الاجتماعيّة المطروحة هي قضيّة العراقيّ والسّوريّ واللّبنانيّ والأوروبيّ والأميركيّ والصّينيّ...لم تشأ أن تتكلّم على الإنسان العراقيّ بل على الإنسان في أيّ مجتمع... رواية "زمن منسيّ" هي رواية اجتماعيّة تصلح لأيّ مجتمع غابت عنه معالم الخصوصيّة المكانيّة والزّمانيّة والاجتماعيّة والعاطفيّة والثّقافيّة...وهذا ما يفسّر خلوّ الرّواية من أيّ ذكر لزقاق أو شارع أو قرية أو محلّة أو مدينة في العراق أو في أيّ دولة عربيّة، مع أنّ الأحداث تدور ضمن إطار الواقع الإنسانيّ...

لقد آثرت الرّوائيّة أن تقدّم المختلف عن الواقع الحقيقيّ، فعبّرت عن وجهة نظر اجتماعيّة وأخلاقيّة، أعطت المرأة فيها، فرصة أن تكون حاملة لواء الخيروالإصلاح والمواجهة والتّحدّي في وجه الرّجال الّذين اختارت عددًا منهملتسند إليهم دور الشّرّ والطّمعوالفساد...وكأنّها امتطت هذه الرّواية لتجعل منها منبرها التّحرّريّ كامرأة تعيش في مجتمع مازال حتّى يومنا هذا ذكوريًّا، وإن أفسح للمرأة ببعض الفرص لكي تثبت نفسها...

لقد أرادت للمرأة "زمن"، أن تتميّز... فاختارت مهنة قد لا تقاربها المرأة عادة، وهي التّخصّص بالطّبّ الشّرعيّ (101)، مع علمها المسبق بقساوة هذه المهنة.اختارت أن لا تكون المرأة كالآخرين مأخوذة بالطّمع وحبّ المال، منجرفة بتيّار الفساد المحيط بها من كلّ جانب، والّذي يعرّض حياتها للخطر...بل جعلتها تتمسّك بحبّ الصّدق والحقّ والخير والصّلاح... وقد عبّرت عن هذا الأمر بوضوح، إذ قالت: ''بتّ أعتقد أنّ كلّ من حولي مزيّفون.''(75) وعبّرت عن كرهها لكلّ ما هو غير واضح وصريح ومستقيم، بتعبيرها عن كرهها للّون الرّماديّ، إذ قالت:''اللّون الرّماديّ... كم أكره هذا اللّون... لون محايد... متطرّف... لا تعرف ماذا ينوي قوله

لك... لون قاتم... كئيب... يشعرني بالضّعف والوهن... يزيد من مرض المرضى... وتزداد حالتهم سوءًا... لون لا ينتج إلّا بعد عمليّة الاحتراق..."(115)

لقد أصرّت الرّوائيّة على أن تحمل "زمن" لواء قضيّة سلّمها إيّاها أبوها الّذي طُلب منه أن يساعد فيها وأن يكون أحد المستشارين، فأحسّ بأمر مريب فيها، ما جعله يُسندها إلى ابنته. هي قضيّة ضدّ جمعيّة علميّة مقرّها في دولة أوروبيّة، وهي تقوم بأنواع مختلفة من التّجارب والتّحاليل والأبحاث السريّة على استنساخ البشر... وذلك عن طريق إقناع بعض النّاس من البسطاء... أن تتمّ عليهم التّجارب... ويروا مفعول المحاليل والمركّبات الّتي يستخدمونها عليهم... مقابل مبالغ زهيدة يفرح بها البسطاء لكي يعيلوا عائلاتهم... المشكلة أنّ هذه المختبرات سريّة ولا يمكن الدّخول إليها إلّا بموافقات أمنيّة وتصاريح... (212) ومع أنّ هذا الأمر هو "عمل غير أخلاقيّ" (142)حوّل حياة "زمن"،في كلّ لحظة تمرّ، إلى فيلم رعب تريده أن ينتهي، إلى كابوس مخيف تريد أن تستيقظ منه... (139)إلّا أنّها أصرّت على مواجهته والغوص فيه...فملامسة الحقيقة عندها، كانت أهمّ من أيّ أمر آخر.

لقد انسحبت الرّوائيّة من عالم الواقع حيث المكان المدمّر المضرّج بالدّماء المسفوكة ظلمًا إلى عالم المكان المختلف، المكان الجميل الهادئ، المكان الملجأ حيث كانت تحبّ أن تبقى، والّذي أولته اهتمامًا خاصًّا: عالم الطّبيعة الّذي تجسّد بأشكاله الثّلاثة: الحديقة، البحر، وشروق الشّمس. ما جعل هذه المفردات تتواتر على امتداد صفحات الرّواية، مسجّلة حضورًا ملحوظًا فيها...فعالم الحديقة حيث الأشجار الخضراء والزّهور وأصوات الكناري تملأ المكان (70)،كانت الذّات دائمًا تلجأ إليه، بالرّغم من فقدانها الذّاكرة، وبالرّغم من كلّ المشاكل المحيطة بها. وقد شاءت الرّوائيّة أن تجعله المشهد الّذي يتراءى لهذه الذّات مرارًا وتكرارًا، إذ كانت في كلّ الرّواية ترامرأة جالسة في حديقة كبيرة وبيدها كتاب تقرأه... لا يُرى منها إلّا ظهرها فقط... ولم تكتف بهذا، إذ عبّرت به عن المشهد الأخير من الرّواية، مختصرة عالم الذّات وأفعالها به أيضًا:"المرأة الّتي كنت أراها عندما كنت فاقدة الذّاكرة... في أماكن مختلفة في الحديقة وتسقي الزّرع هي أنا الآن... هذا ما سأفعله" (255) وكأنّ كلّ ما كانت تبغيه هذه الذّات، بعد كشفها الحقيقة هو أن تمضي حياتها في الحديقة، تعمل فيها...وهذا ، طبعًا، انسحاب من نوع آخر...

أمّا عالم البحر وشروق الشّمس فكان أوّل ما رسمته في أثناء فقدانها الذّاكرة.(40)"فهذا العالم تحبّه كثيرًا ويشعرها بأحاسيس جميلة..."(19-20)،وهي تتمعّن فيه جيّدًا فيغدو، بالنّسبة إليها، كأنّه نهاية ظلمة حالكة... وبداية حياة جديدة... وأنّه كلّما ازدادت حلكة اللّيالي... ازداد النّهار وضوحًا ونورًا. (64)هذا العالم

الّذي يحضر في لحظات الخوف والارتباك ليخفّف من وطأة هذه اللّحظات، وليصبح عادة تمارسها الذّات؟ (86-87، 217) هذا المنظر الّذي تخطّى إطاره المكانيّ ليتحوّل جزءًا من الذّات تستخدمه للتّعريف بنفسها: اسم المرسل والبريد الإلكترونيّ: شروق الشّمس، إنّي أحبّ شروق الشّمس (161)

لقد انسحبت الرّوائيّة من عالم الواقع إلى العالم المتخيّل حيث جعلت للنّوم والصّمت والغيبوبة والشّرود وفقدان الذّاكرة مساحة واضحة في حياة الذّات... حتّى إنّ عنوان الرّواية هو "زمن منسيّ".وقد وردت مجموعة من المفردات الّتيأطّرت هذاالعالم،ماجعل له حقلًا معجميًّا واسعًا ينتشر في أرجاء الرّواية: ''النّوم، نوم عميق، أغفو، النّعاس غلبني، أغمضمت عينيّ، يوقظني من نومي، وقت للنّوم، نومي،نمت، أغفو، أستيقظ، نامت،شعرت بالنّعاس، أنام، أخلد إلى النّوم، سأنام، أشعر بالنّعاس، النّوم الهادئ، أخذتني الغفوة، أريد النّوم، كلّي أحلام ورديّة، نومي عميق جدًّا، أما زلت نائمة، النّوم يداعب جفوني،استلقيت، لا توقظيني، تنام أمّي، رأتني نائمة،استسلمت للنّوم، أضع رأسي على وسادتي، أنام،دوار، دوار خفيف، دوار شديد،أغمي عليّ فاقدة للوعي، أصابني الغثيان، ما عدت أرى الأشياء من حولي، فقدت الوعي، غير واعية، أصبت بوشّة قويّة، دارت بي الدّنيا، ضيق نفس، دوّامة، كلّ شيء يدور في رأسي، شرودي، شاردة، صامتة، صمت، الصّمت نفسه، لم تتحدّثي، أسرح كثيرًا، أصبت بفقدان الذّاكرة، لا أذكر أيّ شيء عمّا مضى، لا أعلم أين أنا ولا من أكون، من أكون أنا؟، حياة لم أعد أتذكّرها،حياتي المنسيّة، ذاكرتي عادت جزئيًّا... ولم تعد كاملة، زمن منسيّ، بقيت لشهور فاقدة الذّاكرة...'' وقد أدخلها هذا العالم، وتحديدًاالنّسيان، في دوّامات الصّراع مع المجهول، صراع لا متناه مع عدوّ خارج إرادتها وأقوى من قدرتها على تناسيه أو تجاوزه...

لقد انسحبت الرّوائيّة من العالم الواقعيّ إلى العالم المتخيّل، حيث جعلت الذّات ترى أنّ الكثير من القيمهي مجرّد وهم، باستثناء حقيقة معرفة الأشرار وإلقاء القبض عليهم...وقد تمثّل الوهم الأوّل الّذي عاشته الذّات في هذه الرّواية، في العائلة:ف "زمن" ظنّت أنّها تعيش في عالم العائلة الهادئة، الرّاقية، المثقّفة والغنيّة... ''العائلة المثاليّة بكلّ معنى الكلمة'' (11)،والّتي وضعها المادّيّ ممتاز جدًّا (50)، العائلة الّتي لم تكن لديها مشكلات من أيّ نوع... الأخ الأكبر مهندس، الأمّ جرّاحة، الأب قاض (أستاذيّة في القضاء الدّوليّ) "معتز" طبيب وزوجته طبيبة، "معز" محام، "زمن" دكتورة... هم مترابطون... متحابّون...نادرًا ما تراه في العائلات الأخرى(49). ولكن، للحظات، شعرت بأنّ هذه الصّورة تتحطّم... فبعد الاكتشافات والتّحليلات، ووصولها إلى الحقيقة، شعرت بالإحباط قائلة: كنت أعتقد أنّني من عائلة مثاليّة... يسودها الحبّ والتّرابط... لكنّني كنت مخطئة...(241)''العائلة المتماسكة بدأت تنهارأمام عيني''(239). لقد سقطت صورة العائلة أمام ناظريها بعد

أن علمت أنّ أخاها هو المتورّط الأكبر في هذه القضيّة، لا بل هو الّذي خطّط لأذيتها، ولزجّها في أتون شرّ كبير...

كذلك جعلت الذّات ترى أنّ عالم الحبّ والمشاعر المخمليّة هو مجرّد وهم أيضًا. فبعد أن صوّرته بعبارات منمّقة جميلة، رفضته في النّهاية وألغته من وجودها، إذ رأت أنّ الفساد طاله هو أيضًا. وهي لا يمكن أن تقبل بحبيب شارك الآخرين فسادهم، حتى لو عمل، في النّهاية على مساعدتها والوقوف إلى جانبها. لقد تعمّدت الرّوائيّة، وسط أجواء الغموض والخوف والفساد أن ترسم مساحة واسعة للحبّ وللحظاته الرّومنسيّة. فوصفته بأنّه''كالهواء... نستنشقه، يدخل باطننا كما يدخل الهواء الرّئتين... فيسري في عروقنا... وينقّي أرواحنا من أمراض الحقد والكره وغيرها... الحبّ كالشّهيق والزفير... يجعلنا نستمرّ في الحياة ونراها بألوان الرّبيع الزّاهية''(155). لقد جعلت الرّوائيّة الذّات تعيش لحظاته بكلّ سعادة: ارتداء الثّوب المناسب، المكياج، باقات الزّهور والبالونات الملوّنة، المشي وسط التّصفيق، الألوان الزّاهية، الرّقص... حتى إنّ كلمة "سعادة" ومشتقّاتها لم توردها الرّوائية إلّا في إطار هذا الحبّ(131-132- 154).وقد جعلت أجمل ما في الحياة أن تتزوّج شخصًا يحبّها وتحبّه... إذًا، لقد سقط الحبّ كما العائلة أمام جبروت الحقيقة الّتي جعلت الرّوائيّة، من خلال الذّات، الكلّ لأجلها.

وهنا تطالعنا جدليّة الشّرّ والخير، وسيادة الشّرّ على حياة الإنسان، كما قالت الذّات: ''نعيش في مستنقع من الفساد والانحلال''(180)،''أين الرّحمة الإنسانيّة؟ أين الشّفقة والعدل؟ أين القيم والأخلاق الّتي عشنا وتربّينا عليها؟ أين الوازع الدّينيّ الّذي يمنعنا من هذه الجرائم البشعة؟ (183)كلّ ما جرى سببه الطّمع (225)...'' لكنّها فتحت كوّة في الجدار الأسود، حين قالت:''لا بدّ للحقّ أن يظهر''(252)،''ويأخذ العدل مجراه'' (253).

3- الانسحاب من العالم الواقعيّ الحقيقيّ إلى عالم الذّات المنشودة.

''نجد في كلّ نصّ روائيّ، حكاية سعي ذات إلى نيل موضوع، أو تحقيق هدف. تتمثّل الحكاية، في شكلها الأوّليّ التّالي: ينشئ نقصان ما عند الذّات، رغبة في الحصول على ما تفقده، ويكون هذا النّقصان موضوع سعيها فتحدّده هدفًا لها، وتقرّر الحصول عليه، ثمّ تخرج ساعية إلى تحقيقه تساعدها أطراف وتناوئها أطراف أخرى...''[6]وهذا الحال جعل الذّات، في رواية "زمن منسيّ" تكفّ عن الشّعور بالتّآلف مع البنية الاجتماعيّة عمومًا. ومع أنّ الجماعة هي موضع تموضع العقل الكليّ[7]،غير أنّ هذه الذّات لم تفقد كلّيتها بل سعت، بالرّغم

من كلّ المعوقات، إلى ملامستها وتشكيلها.لقد انسحبت الرّوائيّة من العالم الواقعيّ الحقيقيّ إلى العالم المتخيّل لأنّ فيه أثبتت أناها أو ذاتها المنشودة الّتي تمظهرت على الشّكل التّالي:

1. 3 "أنا" قادرة على التّحدّي والمواجهة، وبالتّالي الانتصار على الرّغم من المشاعر المتضاربة والمتناقضة الّتي عاشتها هذه الأنا، والّتي تأرجحت بين الخوف والجرأة، والشّكّ واليقين، والوهم والحقيقة، والقوّة والضّعف، والاغتراب والانتماء... وقد يكون انتصارها هذا هو تعويض عن عجزها عن الانتصار في العالم الحقيقيّ. وبهذا تكون قد قهرت بالكتابة اغترابها عن عالمها الواقعيّ ...

لقد أطّرت الرّوائيّة الذّات ضمن إطار القويّة، بدءًا من تبرير اسمها:''اسمي زمن... قال لي والدي إنّه هو من أسماني بهذا الاسم وذلك لتيقّنه أنّي سأغيّر الزّمن والأحداث.. ولإيمانه بأنّ هذا اسم يدلّ على القوّة والسّيطرة'' (12)، مرورًا بتربية أبيها لها إذ جعل لها شخصيّتها المستقلّة الّتي تقول رأيها من دون خوف (12)، جعلها قويّة لا يستطيع أحد تغيير ما في رأسها وما تريد...وخصوصًا بعد الإرث الّذي حصلت عليه والّذي جعلها تزداد عنادًا وإصرارًا (208)،وصولًا إلى مواقف رفضت فيها إلّا أن تكون القويّة الممسكة بزمام الأمور (164)، الشّجاعة الّتي لا تخاف ولا تهتزّ، بعد أن رأت أنّ الحقيقة تتطلّب منها أن تكون شجاعة وهذا جعلها تزداد شراسة... وقوّة وتمرّدًا على واقعها... (220) فقد قرّرت أن تكمل دراستها في مجال الطّبّ الشّرعيّ... بالرّغم من رفض عائلتها للموضوع، ولم تأبه لما يقولون(220). كذلك قامت، في النّهاية،بفعل خيّر عندما أخذت على عاتقها تربية أخت "سهى" وأخيها ورعايتهما وتعليمهما، وهذا الفعلعوّضها عن كلّ الألم والخوف والقهر الّذي رأته في حياتها وجعلها أقوى(254). لقد أطّرت أناها ضمن إطار الـ "أنا" الّتي تواجه الخطر (الجمعيّة العلميّة الشّرّيرة)... وتتمرّد على الواقع (ممّا رستها المهنة بشرف ومصداقيّة...واستعدادها لدخول حارة "سهى"... مواجهتها حبيبها أو خطيبها... استعدادها لتحمّل لواء الحساب... فقد أصبحت مسؤولة عن دماء أناس أبرياءقُتلوا من دون ذنب (234)).

2. 3 "أنا"شديدة القلق والارتياب والخوف من الفشل(72) الّذي تراه ألدّ أعدائها (13)، ولا تسمح له يومًا بالانتصار أو مجرّد الاقتراب منها (14). تتحمّل العزلة والرّوتين والتّعب والإرهاق لأجل النّجاح في أيّ عمل، وتحديدًا في الجامعة، حيث رأت أنّ الدراسة كالمرض إن لم تصرعه صرعها،وحيث كانت تدخل في حالة استنفار عام وتمتنع عن الخروج إلّا إلى الجامعة أو المكتبة (13)...

3 .3 "أنا" قادرة على إحياء القيم والأخلاق، إحياء عالم الصّلاح، ودعمه وترجيح كفّته، وتأكيد أنّ الصّلاح ما زال له مكانته في حياتنا كبشر، وهو قادر، في النّهاية، على أن ينتصر ويثبت جدواه...وكم وقفت مذهولة أمام الواقع تسأل نفسها: هل أصبح الإنسان رخيصًا إلى هذه الدّرجة؟ (183) هل وصلت فيه الحقارة إلى هذا المستوى؟...وهي، بالرّغم من تيقّنها بحجم الخطر المحدق بها، قرّرت خوض غمار هذه القضيّة الغامضة والغريبة واكتشاف الحقيقة ومعرفة الفاسدين الّذين يستبيحون حياة الفقراء وأجسادهم لأجل مطامعهم الخاصّة. قرّرت حمل لواء القضيّة ضدّ جمعيّة علميّة تقوم بأنواع مختلفة من التّجارب والتّحاليل والأبحاث... ومقرّها في دولة أوروبيّة... قرّرت الغوص في مستنقع من الفساد والانحلال (180) في أكبر مكان في البلد للفساد وللفاسدين الّذين تغلغلوا في دول العالم الثّالث حيث يكثر الفقر وتسهل مهمّاتهم في إقناع بعض النّاس من البسطاءبأن تتمّ عليهم التّجارب ويروا مفعول المحاليل والمركّبات الّتي يستخدمونها عليهم مقابل مبالغ زهيدة يفرح بها البسطاء لكي يعيلوا عائلاتهم...فالفقير لا يريد سوى مأوى ولقمة عيش.... يعطونه مبالغ زهيدة تضمن له غرفة تصبح ملكًا له... ومالًا يكفي لإطعام عائلته...وإن توفّي عوّض على أهله بمبلغ آخر لإسكاتهم. (213) لقد قرّرت أن تواجه هذه المشكلة مع أنّها علمت أنّها محاطة بشبكة كاملة من المراقبين... كأنّها في المافيا(215).لقد كانت "أنا" متعطّشة للخير والصّلاح، وعلى الرّغم من كلّ الصّعوبات رأت أملًا في تحقّقهما، وما عبارات اليقين الّتي قالتها والّتي تواترت في النّصّ الرّوائيّسوى تأكيد على ذلك: ‘‘غدًا سينكشف كلّ شيء... وسأثأر لكلّ عائلة فقدت أشخاصًا بهذه الوحشيّة(234)...لا بدّ للحقّ أن يظهر (252)... سيبدأ زمن الحساب... بعدما انتهى زمن التّخبّط والشّكّ (251)... لن تحلّ القضيّة إلّا "زمن" (54)... سآخذ حقّ"سهى" بيديّ هاتين(226)... يجب أن أكشف المدبّر وراء كلّ ما جرى... لا بدّ أن أجده... لن أهدأ ولن أرتاح دون أن أعرف من يكون (228)... قريبًا سأكشف الجناة وسيعاقَبون على أفعالهم.... لقد توصّلت إلى معرفة ما يجري... وعرفت مَن هو الفاعل... اكتشفت اليوم أنّ جميع الحالات الّتي شككت فيها كانت قد حقنت بأمصال وتحاليل... تفيد باختبارات وتجارب الاستنساخ البشريّ (233) ...’’

لقد كانت هذه الأنا بكلّ ما حملته من صفات هي محور العمل الرّوائيّ، إذ بدأت بها الرّواية (**أنا** طالبة) وانتهت بها (هي **أنا** الآن) مشكّلة بناء دائريًّا يؤكّد محوريّة هذه الأنا/ الذّات، واستقطابها لكلّ الشّخصيّات والأفعال... وبالتّالي، عدم الذّوبان في دوّامة الآخرين... بعد أن بات همّها إعادة تشكيل العالم وفقًا للصّورة الّتي

ترضي الذّات، أي صورة الخير والصّلاح والسّعي لإنقاذالعالم من الفاسدين،وإلحاحها على تصوير المصير الفاجع الّذي ينتظر أولئك الّذين شاركوا في لوثة المجتمع، وعيًا منها أنّ الإنسان هو نتاج إنتاجه... يقول الفيلسوف الفرنسيّ"هنري برجسون" (Henri Bergson): ''اللّحظات الّتي نمتلك فيها ذواتنا نادرة وهذا ما يجعلنا نادرًا ما نكون أحرارًا.''[8]وهكذا انتهت الرّواية بخطاب الانتصار الّذي حرّر الذّات من كلّ ما كان يقضّ مضجعها، وجعلها مطمئنّة راضية على ما حقّقته... فلامست ذاتها الحقيقيّة بعد أن كانت تائهة عنها في متن الرّواية حيث كان لسان حالها السّؤال: مَن أنا؟ مَن أكون؟ (17) لم أعد أعرف مَن أكون؟(208)...

4. الخاتمة.

ختامًا، نستطيع أن نقول إنّ الرّوائيّة "أنفال الجبوريّ" آثرت أن تذهب بعيدًا عن عالمها الواقعيّ الحقيقيّ... لقد تناست القضيّة الأساسيّة الّتي يتخبّط فيها هذا الواقع، وراحت إلى عالم آخر لا تشوبه إلّا شائبة الفساد المهنيّ والنّزعة المادّيّة الطّامعة بمزيد من الأموال والمكاسب والأرباح... ومع أهميّة ما تمّ التّركيز عليه، إلا أنّه يصبح مسألة فرعيّة في زمن الإرهاب، زمنٍ تغدو فيه الحرّيّة والكينونة في خطر، زمنٍ يغدو فيه الوجود برمّته في خطر...فبدت، بهذا، وكأنّها تعيش في زمن آخر، في جزيرة، بمنأى عمّا يحصل، وما يحصل خطير، مخيف ومؤلم... لقد عجزت، بأدبها عن مواجهة الواقع، عن التّحرّك أمام الأحداث الكبرى المصيريّة...لقد انسحبت من دوّامتها...

لكن، هل انسحابها هذا هو للهروب من المسؤوليّة العظمى الّتي تلحّ على وجدان أيّ إنسان عراقيّ أو عربيّ يعيش حالة من الدّمار النّفسيّ والماديّ والوجوديّ لكي يكتب عنها ويعالجها؟ هل هو للتّنكر لها؟ هل هو الخوف منها، أو الرّغبة في مجرّد تقديم الآخر المختلف؟...

لا شكّ في أنّها، بما فعلته، انصرفت إلى خلق عالم آخر، و هو وإن كان فاقدًا للخصوصيّة، متّسمًا بالعموميّة...إلّا أنّها عوّضت به وبقدراتها الفنيّة على التّأثير في أحداث الخارج الملحّة...فحقّقت تميّزها عن الكائنات والنّاس عبر الخلق الجماليّ الّذي يحرّرها من الحاجة ويرفعها إلى مستوى الخلق...

[1]– زيتوني، لطيف. "معجم مصطلحات نقد الرّواية. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 99.

[2]– زراقط، عبد المجيد. "في بناء الرّواية اللّبنانيّة"، الجزء الأوّل. منشورات الجامعة اللّبنانيّة، بيروت، لبنان، 1999، ص 22.

[3]– المرجع نفسه، ص 12.

[4]– المرجع نفسه، ص 12.

[5]– المرجع نفسه، ص 33.

[6]– المرجع نفسه، ص 83.

[7]– أيّوب ، نبيل. "الطّرائق إلى نصّ القارئ المختلف". دار المكتبة الأهليّة، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 218.

[8]– جرجور، مهى فؤاد. "الذّاكرة والرّغبة في الكتابة". بيروت: دار المكتبة الأهليّة، 2007، ص53.

المصدر:

1. الجبوري، أنفال. "زمن منسيّ". دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2016.

المراجع:

1. أيّوب ، نبيل. "الطّرائق إلى نصّ القارئ المختلف". دار المكتبة الأهليّة،بيروت، لبنان، ط1، 1997.
2. أيّوب ، نبيل. "نصّ القارئ المختلف (2) وسيميائيّة الخطاب النّقديّ". مكتبة لبنان ناشرون،ط1، بيروت، لبنان، 2011.
3. جرجور، مهى فؤاد. "الذّاكرة والرّغبة في الكتابة". دار المكتبة الأهليّة،بيروت، لبنان، 2007.
4. حمداويّ، جميل. "دراسات في النّقد الرّوائيّ، بين النّظريّة والتّطبيق". دار نشر المعرفة،الرّباط، المغرب، 2013.
5. زراقط، عبد المجيد. "في بناء الرّواية اللّبنانيّة". منشورات الجامعة اللّبنانيّة،بيروت، لبنان 1999، الجزء الأوّل.
6. زيتوني، لطيف. "معجم مصطلحات نقد الرّواية. مكتبة لبنان ناشرون،بيروت، لبنان، ط1، 2002.